شراء المجد

قد لا يكون بين متاجر الارض متجر اشد ربحاً او اكثر اقتضاء للبذل من متجر المجد وبالتالي الاحتيال على الشهرة باعتبار انها عين المجد لدى الكثيرين ممن لا يفرقون بين الاثنين ولهذا يكثر بين الناس طلاب المجد والرفعة بما يتفق لهم واكثر ما يكون هذا بين من لا مجد لهم من نفوسهم ولا سبب من عندهم لاشتهارهم فانهم يعمدون الى نيل ذلك بكل طريقة حتى ان الوضيع الذي لا يكون عنده مال كاف ينال بانفاقه الشهرة التي يظنها مجداً يعمد الى التحلي بالانفاق القليل فيحسن من ملابسه ويتحلى بما يستطيع من الحجارة الكريمة قصد ان يبدو له رونق لدى العيون فيرتفع قليلا في النفوس وامثال هذا يعدون بالملايين ولولا ان تكون قد اودعت نفوسهم الرغبة في هذا المجد الباطل لتقوض ركن عظيم من اركان التجارة وارباح الناس

اما طلب المجد الظاهري كالافتخار برتبة او وسام فشائع كل الشيوع في كل مكان ولا سيما في البلاد الشرقية اذ قد اشتدت الحيلة على طلب هذا المجد وكثرت له الذرائع حتى عد مما لا بأس به لانه يزحزح اموال الاغنياء من خزائنها ويدعوهم الى الانفاق من اجلها بعد ان كانوا باخلين

الا انه مما يذكر عن بعض البلاد الاوروبية كانكلترا ومن يحذو حذوها في الضنانة بالمجد انه ليست حكوماتها التي تضن به فقط ولا تسمح به الا للمستحق النافع للناس بل ان جرائدها تضن ايضاً ضناً كبيراً بهذا

المجد فلا تنيله كل طالب مهما بذل واغرى بالمال وقد ذكرت احدى الصحائف فصلا عن هذا الشأن قالت فيه ان بعض من لا مجد لهم اراد مرة ان يشهر ويمجد وكان غنياً فما وجد لذلك سبيلا الا الصحف فاخذ يطوف عليها طالباً منها ان تنوه به وتكثر من حديثه وبيان اعماله فما وجد منها واحدة تطاوعه على اربه لان هذه الطاعة مما يعدى لها القارئ فينفر عن الجريدة حتى تخسر اضعاف ما ربحت فوق خسارة مجدها الذي خاطرت به في سبيل ذاك المجد ولهذا ترى عندهم اخبار الولادة والموت والاعراس وهي كلها كاعلانات تدفع عنها الاجرة بمقدار الاسطر ولا تنشر شيئاً من ذلك مجاناً الا للماجد الحقيقي فانها تذكر خبر زفافه او موته بتطويل وتعد ذلك كانه نعمة اصابتها لما يكون في الخبر وتفصيله وتاريخ صاحبه من الاهمية لدى القراء ولعل هذا التوفير الذي يصيب الماجد بعدم دفعه الاجرة يكون اجرة له على مجده الذي لم يعط كل حقه من المال والكسب من صناعة الجنان على خلاف ما هو جار بيننا اذ تبيح الجرائد هذا المجد لكل طالب باجرة قليلة او بدون اجرة اصلا بل كثيراً ما تغفل تابين الماجد وذكر زفافه ونحو ذلك اذا كان فقيراً وتطيل في تمجيد من لا مجد له اذا كان غنياً وهذا من اقبح عيوب الصحافة وقد آن له ان يزول

الا ان من الحيل على المجد ما يعد مقبولا لا بأس به اذ هو داخل ضمن حدود المجد مثل كثرة التصدق وبذل المال في سبيل العلم ووجوه الخير فان المحتال على ذلك لا يكون له مجد من نفسه ويكون ذا مال فيشتري المجد بالمال ويأخذه من غير بائعه اي انه حين يبني مدرسة لا ينتفع منها الا المتعلمون بها فقط وهم الذين كان يجب عليهم تمجيده والتنويه به

ولكن الجرائد هي التي تتولى ذلك عنهم مجاناً فتكون الحيلة منه قد جاءت حيلة حقيقية فتمجد من حيث لم يسال احداً ان يمجده

ثم ان الحيلة على المجد لابد ان تبقى متصلة لا انقطاع لها والا انقطع المجد وذلك ان الذي لا مجد له من نفسه ويكسبها ذاك المجد بتلك الحيلة يكون قد شرف وعظم مدة ذاك الحديث ومقدار تأثيره ثم لا يلبث ان تنساه الناس ولا يعود له ذكر بينهم لعدم تجدد شيء من نفسه كما هو شأن اصحاب الفضل الحقيقي الذين لهم كل يوم نفع ولهم كل ساعة حديث وتمجيد ولهذا يعمد الى تجديد ما قدم فينشئ ملجأ بعد المدرسة ومستشفى بعد الملجأ كما يفعل اغنياء اميركا بالخصوص فانهم لا مجد لهم الا باموالهم ولكنهم يعمدون الى هذه الحيلة فيجددون المجد حين بتقادم ويشترون سواه حين يرث حتى يظل ذكرهم سائراً ومجدهم محفوظاً وهذا من الطف الحيل واكثرها تسبباً لنفع الناس كما ان المجد الاتي منها يكون على جانب من الحقيقة اذ ليس كل المجد علما وصناعة وذكاء بل بذل المال في سبيل الخير مما يعد كبذل العلم في سبيل تنوير الاذهان . ولعل المرحوم منشاوي باشا يعد بيننا من امهر المحتالين على المجد من هذا السبيل لاننا لا نعرف احداً بلغت به الشهرة ان ملأ اسمه الآفاق مثل ذاك الفقيد وذلك لكثرة مواهبه واتصالها الى حد نادر جداً في الشرق

ثم ان من الناس من يكون ماجداً حقيقياً ولكنه يكون عالماً من نفسه بان مجده يزول بعد موته او لا يكون نابه الذكر ميتاً كما كان حياً فيعمد الى اولي الفضل لكي يشرفوه باثارهم الخالدة فمن كان منهم مصوراً عظيماً يسأله رسم صورته لتبقى خالدة في المتاحف واذا كان نحاتاً فعل معه

كذلك وبذل ما شاءت حيله على المجد واذا كان شاعراً سأله ان يمدحه ليكتسب الخلود والذكر المتواتر المتصل كلما ذكر شعره واذا كان مصنفاً اعانه على نشر تآليفه ليبقى اسمه مذكوراً معها كما فعل المرحوم نخله المدور فانه اراد الحيلة على المجد فطلب ان يطبع مقامات العلامة اليازجي الكبير رحمه الله فطبعها ومدح من مصنفها بقصيدة نشرت في صدرها فكانت اعظم حيلة على المجد لان التنويه به وذكر اسمه سيبقيان ما بقي مجمع البحرين متداولا بين الناس اي ان اسمه سيبقى الى الابد وهو مجد لو بذل من اجله كل امواله لعجزت عنه ولكن حيلته هذه جاءت صادقة بمقدار قليل وقد فعل جماعة مثل هذا الفعل مع شكسبير الشاعر الانكليزي فكانوا اصدقاءه حتى ذكرهم في شعره واهداهم بعض قصائده فباتوا خالدين

ولقد كان سيف الدولة الحمداني من المخلدين بفضلهم الحقيقي وما لهم من فتوح وسياسات ولكنه كان كانه يخشى ان لا يذكر بعد موته الا حين تذكر حلب وحروب الروم وامثال ذلك مما كان يباشره فعمد الى الشعراء فاستدناهم اليه وقربهم منه واغدق عليهم مكارمه حتى نظموا فيه اجود ما نظم في الشعر العربي لانهم كانوا يكدون اذهانهم كداً للتفاضل بمديحه ولا سيما المتنبي الذي فاقهم كلهم فانه وحده خلد سيف الدولة من الجهة التي ارادها سيف الدولة اذ جعله مذكوراً كل يوم في كل حلقة ادب لان شعر المتنبي لا يستغني عنه اديب ولا يمل من ذكره لسان بل ان شعره لابد منه احياناً كثيرة للاستشهاد والتمثل وبهذا يذكر سيف الدولة

وقد كان ابو شجاع فاتك احد اكابر النيوم من جملة الماهرين في الحيلة

على المجد فانه لما جاء المتنبي الى مصر بعث اليه بالف دينار هدية فقال يمدحه بتلك القصيدة التي يقول في مطلعها

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

وفيها يقول

لطفت رأيك في بري وتكرمتي ان الكريم على العلياء يحتال

ولقد احسن ابو الطيب ما شاء في هذا البيت اذ دل ممدوحه على انه عارف بمراده ثم اثنى عليه لهذا المراد اللطيف وجعل تلك الحيلة من صفات الكرام وحقاً انها لكذلك لان ابا شجاع على ما يظهر كان من اولي الكرامة والفضل وقد جزع المتنبي لفقده فرثاه باجود ما قيل في الرثاء وكان يكثر التوجع لفقده والاسى عليه وهو الذي يقول فيه

واي فتى سلبتني المنون لم تدر ما ولدت امه

ولا ما تضم الى صدرها ولو علمت ها لها ضمه

بمصر ملوك لهم ماله ولكنهم ما لهم همه

وهذا القول يصدق على المتشاوي لان بمصر كثيرين لهم ماله ولكن لم يكن لهم همه

ولقد يستفاد من قول مسلم بن الوليد ما يدل على هذه الحيلة فانه يقول لاحد ممدوحيه

شهدت لقد اعطيتني غير سائل واعذرت في المعروف غير مبخل

واني لمغبوط بودك ذو غنى ولو عركتني الحادثات بكلكل

وان مسلماً قد يكون مغبوطاً حقيقة بود هذا المفضال الا ان هذا لم يكن يرى الغبطة الا بان يشتري المجد من مسلم فاعطاه غير سائل كما فعل ابو شجاع مع المتنبي وهذا من مكارم الاخلاق السامية

ولقد كان ابو عبادة البحتري عالماً بغلاء هذه الحيلة ولذلك كان يكثر من التيه على ممدوحيه حتى كان يصرح لهم تصريحاً بان شعره اكسبهم اكثر مما كسب هو منهم . ولعل هذه الحيلة على المجد وهي اسعاف العلماء والمصنفين والشعراء وارباب الفنون والصنائع تعد من اعظم الحيل واشرفها ولكنها مع كونها كذلك لا يباشرها في بلادنا الا عدد لا يذكر كما انهم لا يتمونها كما يجب مع انهم لو انفقوا عليها معشار ما ينفقونه على تحصيل المجد الباطل كبناء القصور واقتناء الخيول والاستحصال على الاوسمة والرتب لجاءت لهم بمجد اتم وذكر انبه وكان ذلك مما يبقى بعد موتهم الى الامد الطويل واما كل ما يتمجدون به الان وما يبذلونه من حيل المجد فيوشك ان يموت قبل مماتهم او يغدو معكوساً فتصبح حيلة المجد وهي كانها حيلة على الخمول وسوء الذكر